الإصدار الثالث والعشرون
المجلد (6) العدد (3)
25 أغسطس 2026
المجلة الدولية للنشر العلمي

ظاهرة التوكيد النحوي واثرها في تقوية المعنى دراسة وصفية

م.م هدى سليم حسين
(الجامعة المستنصرية - كلية الآداب)

https://doi.org/10.65723/RMSP3076

الملخص

إن ظاهرة التوكيد النحوي هي من الظواهر اللغوية المهمة التي لها دور مهم جدا في توضيح المعنى وتقويته وترسيخه في ذهن المتلقي، ويهدف البحث إلى توضيح مفهوم التوكيد وأنواعه ومواضع استعماله، والكشف عن الوظائف الدلالية التي يؤديها في التركيب النحوي، فضلا عن بيان أهمية العلاقة بين البنية النحوية والغاية المعنوية التي يقصد إليها المتكلم. كما أن التوكيد اللفظي لا يقتصر على كونه تابعا نحويا يؤدي وظيفة إعرابية، وإنما له وظيفة دلالية وبلاغية تتمثل في إزالة الشك والاحتمال ودفع التوهم وتقوية المعنى، والتوكيد النحوي يكون دائما مرتبط بالسياق ارتباطا وثيقا، وأن استعماله يكون لحاجة المعنى والمقام، وإزالة الشك والإنكار والاحتمال. وكذلك يستعمل التوكيد النحوي عندما يريد إبراز أهمية أمر معين، ولذلك فالتوكيد له أثر وأهمية في تحقيق الدقة والقوة في التعبير العربي.

وإن التوكيد النحوي هو ظاهرة تمثل المستويات النحوية والدلالية والبلاغية، ولهذا فهو ليس مجرد زيادة في اللفظ، ولكنه ذو أهمية وظيفية تسهم في بناء المعنى وتقويته وتوجيه دلالته نحو مقتضى سياق التركيب النحوي .

الكلمات المفتاحية: ظاهرة التوكيد النحوي، معنى التوكيد، أهمية التوكيد، التوكيد اللفظي، التوكيد المعنوي، الفاظ التوكيد.

Abstract:
The phenomenon of grammatical emphasis is one of the important linguistic phenomena that plays a significant role in clarifying, reinforcing, and firmly establishing meaning in the mind of the recipient. This study aims to clarify the concept of emphasis, its types, and the contexts in which it is employed, as well as to examine the semantic functions it performs within grammatical structures. It also seeks to demonstrate the importance of the relationship between grammatical structure and the semantic purpose intended by the speaker.
Verbal emphasis is not limited to functioning as a grammatical dependent that fulfills a syntactic function; rather, it also serves a semantic and rhetorical function, manifested in eliminating doubt and uncertainty, dispelling misconceptions, and reinforcing meaning. Grammatical emphasis is always closely connected to context, and its use is determined by the requirements of meaning and the communicative situation, particularly for the purpose of eliminating doubt, denial, and possibility. Grammatical emphasis is also employed when the speaker seeks to highlight the importance of a particular matter. Accordingly, emphasis plays a significant role in achieving precision and strength of expression in Arabic.
Grammatical emphasis is a linguistic phenomenon that encompasses the syntactic, semantic, and rhetorical levels. It is therefore not merely an addition to the wording; rather, it possesses an important functional significance that contributes to constructing and reinforcing meaning and directing its semantic interpretation in accordance with the requirements of the context of the grammatical structure.
Keywords: Grammatical Emphasis, Meaning of Emphasis, Importance of Emphasis, Verbal Emphasis, Semantic Emphasis, Terms of Emphasis.

المقدمة:

جاءت كلمة (التوكيد) في اللغة على ثلاث صور هي (التوكيد) بالواو، و(التأكيد) بالهمزة، و(التأكيد) بتخفيف الهمزة إلى الألف. وأكثر كلمة شهرة هي الكلمة الأولى (التوكيد). ومعنى التوكيد في اللغة التثبيت والتقوية، ويستعمل في حياتنا اليومية بهذا المعنى نفسه، ومن التعبيرات التي نستعملها كثيرًا مثلًا: (أنا متأكد من كلامي)، و(تأكدت أنه سيأتي)، و(أكدت عليه الكلام)، وقد ورد التوكيد في اللغة على قسمين هما التوكيد اللفظي والتوكيد المعنوي، ويعد التوكيد من التوابع التي تتصل بما قبلها في الإعراب، وإضافة إلى وظيفته الإعرابية، فله وظيفة معنوية لها أهمية في تقوية المعنى، ويتحقق التوكيد اللفظي بتكرار اللفظ المؤكد، أو ما يقوم مقامه، في حين أن التوكيد المعنوي له ألفاظ مثل: (نفس) و(عين) و(كل) و(جميع) و(عامة) و(كلا وكلتا)، ولكل لفظ من هذه الألفاظ ولكل نوع من التوكيد أهمية في بناء المعنى وتوجيهه حسب السياق في التركيب النحوي.

وتعود أهمية التوكيد النحوي في كونه يكشف عن جانب من جوانب دقة التعبير العربي، فله مقصد ودلالة بلاغي نحوي يقتضيه المقام والسياق، وليس مجرد زيادة في اللفظ، فإن إبراز أهمية المعنى في التوكيد النحوي يكون عنصرًا فاعلًا في توجيه الدلالة وتقوية الأثر الذي له دور كبير في نفس المتلقي، ولهذا كان اختيار موضوع هذا البحث الموسوم بظاهرة التوكيد النحوي وأثرها في تقوية المعنى دراسة وصفية من أجل الوقوف على حقيقة هذه الظاهرة من الناحية النحوية، والكشف عن أبعادها الدلالية وبيان أهميتها في تقوية المعنى وبيان المقصود. وسأتناول في هذا البحث مفهوم التوكيد النحوي وأنواعه وألفاظه وأحكامه، وما هي الدواعي التي تستوجب استعماله في الكلام، وكيف يسهم التوكيد النحوي في تقوية المعنى، وهل يختلف دلالته باختلاف نوعه والسياق الذي يرد فيه. ولتوضيح أن الظواهر النحوية لا تنفصل عن الوظيفة الدلالية التي لها دور مهم في التعبير العربي، وقد تضمنت خطة البحث من:

1. **المقدمة : وتضمنت الآتي :**
   - أهمية الموضوع
   - سبب اختيار الموضوع
   - خطة البحث
2. **المبحث الأول: التوكيد المعنوي**
   - المطلب الأول: أغراض التوكيد المعنوي
   - المطلب الثاني: ألفاظ التوكيد المعنوي ودلالته النحوية
   - المطلب الثالث: توكيد الضمائر والحروف
3. **المبحث الثاني: التوكيد اللفظي**
   - المطلب الأول: الغرض من التوكيد اللفظي
   - المطلب الثاني: توكيد الفعل بالنون
4. **المبحث الثالث: التوكيد بالقسم**
   - المطلب الأول: الاحرف التي تستعمل في القسم
   - المطلب الثاني: وقوع (لا) قبل القسم
   - المطلب الثالث: جواب القسم
5. **المبحث الرابع: التوكيد بأحرف الصلة او الاحرف الزائدة**
   - المطلب الأول: الزبادة في احرف (الباء) و(من)
   - المطلب الثاني: زيادة (ما) و (لا)

المبحث الأول: التوكيد المعنوي

وهو التابع الرافع احتمال تقدير إضافة إلى المتبوع أو إرادة المخصوص بما ظاهره العموم (ابن الناظم،1342هـ،صفحة 206)، وهو التابع الواقع احتمال غير إرادة الظاهر(الاشموني،صفحة 72/3).

فمثلاً عندما نقول (درست النحو كله)، فلو اقتصرنا على المؤكد (النحو) لاحتمل الأمر أن الذي درس معظمه أو أبواب منه، فحين يذكر لفظ التوكيد (كله) يرفع ذلك الاحتمال، والتوكيد المعنوي هو ما يرفع توهم مضاف إلى المؤكد أو توهم عدم إرادة الشمول، أو هو تابع يقدر أمر الشمول في النسبة أو الشمول(محمد،2009م،صفحة 407). وسأتناول في هذا المبحث ما يتعلق بالتوكيد المعنوي من ألفاظه والغاية من التوكيد المعنوي واستعمالاته وتراكيبه النحوية.

المطلب الأول: أغراض التوكيد المعنوي

للتوكيد المعنوي غرضان هما:

أولًا: احتمال إرادة مضاف أو إرادة غير المذكور بذكر النفس أو العين ومشتقاتها مضافين إلى ضمير المؤكد، مثلاً عندما نقول (جاء محمد نفسه) و(لقيت محمدًا عينه) (ابن ناظم،1422،صفحة470). وألفاظ هذا التوكيد هي (النفس) و(العين)، مثل: (أقبلت صفاء نفسها) أو (عينها)، وعندما يكون (نفس) و(عين) للتوكيد فيجب أن يسبقهما المؤكد وأن يكونا مثله في الضبط الإعرابي، كما أن (نفس) و(عين) يستعملان في التثنية والجمع على وزن أفعل، فنقول مثلاً: (حضر الكاتبان أنفسهما أو عينهما)، و(حضرت المدرستان أنفسهما أو عينهما). أما في حالة الجمع فمثلاً نقول: (حضر المدرسون أنفسهم أو أعينهم)، و(حضرت الطالبات أنفسهن أو أعينهن)، وإذا اجتمعت (النفس) و(العين) قدمت (النفس) على (العين)، فنقول: (أقبل الضيف نفسه عينه) وليس العكس (محمد،2014م،صفحة 297). كما أن ألفاظ (النفس) و(العين) يختصان بجواز جرهما بالباء الزائدة زيادة في التوكيد، نحو (أقبل الطبيب بنفسه) أو (أقبلت المعلمة بنفسها)، ولا يجوز استعمال الباء الزائدة في غير هذه الألفاظ، والحقيقة أن هذه الباء ليست زائدة بمعنى يمكن حذفها وذكرها سيان، فعندما نقول: (جاء محمد بنفسه) مثل: (جاء محمد نفسه)، ولكن هنا الباء تفيد أن المؤكد فعل ذلك وما كان متوقعاً منه أن يفعل، أو بمعنى أنها يؤتى بها للاهتمام الزائد والإنزال. نحن نستعمل هذه الباء فنقول مثلاً: (زارا الطبيب بنفسه المريض، بمعنى أن قام بواجب وبعبارة مثلاً: (كلمته أنا بنفسي فرد كلامي)، بمعنى أقصى ما أستطيع أن أفعله. (محمد،2014م،صفحة 279).

ثانيا: الغرض الثاني من التوكيد المعنوي هو رفع احتمال عدم إرادة الشمول، فمثلا عندما تقول: (أقبل الضيوف)، فهنا احتمال أن هذا القول يدل على أن المقبلين هم أكثر الضيوف، وليس فيه توضيح على قصد العموم والإحاطة، فإذا أردنا بيان العموم نقول: (جاء الضيوف كلهم أو جميعهم)، وبذلك أفدنا الإحاطة والشمول، فكذلك عندما نقول: (جاء الطلاب إلى الجامعة)، فهنا أيضا لم يتم الإيضاح بالنسبة المتلقين والسامع، هل حضر الطلاب جميعهم أم بعضهم، ولكن عندما نقول: (حضر الطلاب جميعهم أو كلهم)، فبذلك يتأكد المعنى الحقيقي عند السامع، ولا يبقى له في الفهم غموض أو عدم الإيضاح، وبذلك يكون التوكيد بألفاظ (كل) و(جميع) عند إرادة الشمول والعموم، ولدفع احتمال إرادة الخصوص بلفظ العموم، فنقول مثلا: (جاء القوم)، فيحتمل مجيء جميعهم ويحتمل مجيء بعضهم (الانصاري،1436ه،صفحة204).

المطلب الثاني: (ألفاظ التوكيد المعنوي ودلالاتها النحوية)

أولاً (النفس) و(العين):

إن ألفاظ هذا التوكيد هي (النفس) و(العين) ومشتقاتهما مضافة إلى ضمير المؤكد، وتستعمل هذه الألفاظ في التثنية والجمع على وزن (أفعُل)، فنقول مثلاً: (حضرت الطالبتان أنفسهما)، و(حضرت الطالبات أنفسهن أو أعينهن)، أو (حضر المدرسان نفسيهما أو أعينهما)، و(حضر المدرسون أنفسهم أو أعينهم)، والمقصود بلفظ (العين) و(النفس) حقيقة الشيء(القيرواني،1955م،صفحة 555). وأما (النفس) فهي عبارة عن حقيقة الموجود الوجود دون أي معنى زائد (ابن القيم،صفحة6/2). و(العين) يراد بها حقيقة الشيء المدركة بالعيان أو بمعنى ما يقوم مقام العيان، و(العين) عند العرب حقيقة وشخصه وأصله، والجمع (أعيان)، وعين كل شيء نفسه، وإذا اجتمعت النفس والعين في تركيب لغوي قدمت النفس على العين، فنقول مثلاً: (جاء الطالب نفسه عينه)، لأن الأصل في الإطلاق على الحقيقة هي النفس، أما العين فهي منقولة إليها (فاضل،1991،صفحة 514/4). وبالنسبة لتقديم النفس على العين فلأن (النفس) لفظ

موضوع لماهيتها حقيقة، ولفظ العين مستعار مجازاً (ابن الحاجب، 368/1)، وهي تستعمل في التوكيد بمعنى حقيقة الشيء وذاته. (فاضل،1991،صفحة 514/4).

ثانياً: (كِلا) و(كِلتا):
نستعمل هاتان اللفظتان (كلا) و(كلتا) لتوكيد المثنى، فالكلمة الأولى (كلا) تُستعمل لتوكيد المثنى المذكر، والكلمة الثانية (كلتا) تُستعمل لتوكيد المثنى المؤنث، وعند استعمال هذي التوكيد يتصل بها ضمير مطابق للمؤكد، فيلحقان بالمثنى في الإعراب مثلاً: (زرت صديقتي كلتيهما)، و(ذهبت مع زملائي في الرحلتين كلتيهما).

ثالثاً: (كل، جميع):
(كل) هو اسم يفيد الاستغراق والإحاطة، وهو اسم موضوع لاستغراق أفراد المنكر نحو قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذائقة ٱلْمَوْتِ ﴾[سورة آل عمران 185] ، والمعروف المجموعة نحو قوله تعالى: ﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴾[سورة مريم 95] ، وأجزاء المفرد من معروف المعرفة نحو: (كل محمد حسن) (ابن هشام،صفحة 199/1)، و(كل) مضاف إلى النكرة وإلى المعارف، وقد تقطع عن الإضافة لفظاً وينوي معناه، فإذا أضفناها إلى نكرة وجد معناها إن كان مؤنثاً أو مذكراً مفرداً أو غيره، فنقول مثلاً: (كل فريق ذهب في رحلة)، و(كل مريض زاره صديقه)، و(كل شجرة أعطت ظلاً). كما أن لفظ (كل) حكمه الإفراد والتذكير، وأن المعنى بحسب ما تضاف إليه، فإذا كانت مضافة إلى منكر وجب مراعاة معناها، وإذ ذلك يأتي الضمير مفرداً مذكراً كما في قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾[سورة الإسراء 13]، ومفرداً مؤنثاً نحو قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾[سورة المدثر 38].
وإذا أضيف إلى معرفة فيصح مراعاة اللفظ والمعنى نحو: (كل أخوتك ذاهب)، أي بمعنى كل منهم ذاهب، و(كل أخوتك ذاهبون) (ابن سيده، 1321ه،صفحة 136/17)، وقيل لا يعود الضمير عليها من خبرها إلا مفرداً مذكراً. (ابن هشام، 199/1).
فإذا قطعنا (كل) عن الإضافة لفظاً جاز مراعاة اللفظ والمعنى نحو قوله تعالى: ﴿ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾[سورة البقرة 285] ، فأفرد مراعاة اللفظ (كل)، وجمع مراعاة معناها، والصحيح أن المقدر يكون مفرد نكرة، فيجب الإفراد كما لو صرح بالمفرد ويكون جمعاً مفرداً، فيكون جمعاً معرفاً فيجب الجمع، وإن كانت المعرفة لو ذكرت لوجب الإفراد، ولكن نبنيها على أحوال المحذوف فيها، ففي قوله تعالى: ﴿ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾[سورة البقرة 285]، فالتقدير هو كل أحد آمن بالله.
وبالنسبة لكلمة (جميع)، فهي مأخوذة من الاجتماع، وتستعمل لعدة معانٍ، فقد تكون بمعنى مجتمع لوصف المفرد، فيقال مثلاً: (هذا رجل جميع)، أي مجتمع الخلق، ويُوصف بها كذلك الجمع، فيقال: (هؤلاء جميع)، أي مجتمعون (أبو الفضل، باب جميع). وإذا قلنا: كيف نخبر عن (كل) بـ(جميع) ومعناها واحد، فالجواب هو: ليس بواحد، لأن (كل) يفيد معنى الإحاطة، و(الجميع) معناها الاجتماع (الزمخشري،1948،صفحة 587/2).

رابعاً: (الجمع وما تفرع عنه):
وهي من لفظ الاجتماع ولها عدة استعمالات، فقد تكون اسم تفضيل نحو قولنا: (رأيك أجمع للصواب)، وقد تكون صفة مشبهة بمعنى (مجتمع) على وزن (أفعَل) ومؤنثها (فعلاء)، فيقال: (أجمع جمعاء) (القيرواني،1955م،صفحة575).
قد تكون من ألفاظ الإحاطة فتستعمل توكيد بمعنى (كل)، فنقول: (جاء الطلاب أجمعون)، أي: جاءوا كلهم، فهنا ليست اسم تفضيل ولا صفة مشبهة، بل هي وصف مرادف للتوكيد، فهي وصف يستعمل للإحاطة بمعنى كل، لكن الفرق بينهما وبين أجمع أن الكلمة الثانية من لفظ الجماعة والمجموع والاجتماع، و(كل) للدلالة على كل فرد حتى تستغرق جميع الأفراد، وقد ذهب بعض النحاة إلى أنها تفيد الاتحاد في الوقت (الاشموني،صفحة77/3)، ومن صفات هذه الألفاظ عندما تأتي للتوكيد أنها تستعمل لتوكيد المفرد والجمع فقط، فلا تستعمل في المثنى.

المطلب الثالث: توكيد الضمائر والحروف

الضمائر نوعان: ضمائر مستترة وضمائر بارزة، والضمائر البارزة هي نوعان: منفصلة ومتصلة.

أولاً: الضمير المستترة تؤكد بالضمير البارز المنفصل، فنقول مثلاً: (اكتب أنت الدرس)، و(ذهب هو إلى الجامعة).

ثانياً: الضمير البارز المنفصل، وهو كذلك تؤكد بضمير بارز منفصل مناسب، فنقول مثلاً: (هو هو الكاتب).

ثالثًا الضمائر البارزة المتصلة، وهذه الضمائر تؤكد بضمير بارز منفصل مرفوع، فنقول مثلا: (استمعت أنا للنصيحة منك أنت) (محمد،2009م،صفحة 474).

توكيد الضمير المرفوع المتصل بالنفس والعين:

وهذه صورة من صور التوكيد المعنوي التي تجتمع فيهما الصفتان التاليتان، وهما:

أ- أن يكون المؤكد ضميرا متصلًا مرفوعًا.

ب- أن يكون التوكيد من ألفاظ المجموعة الأولى وهي (النفس) (العين)، ولا يصلح التوكيد المباشر بهذين اللفظين، بل لا بد أن يؤكد أولا ضمير متصل بضمير منفصل، ثم يؤتى بعد ذلك بلفظ من هذين اللفظين .

توكيد الحروف

هناك حروف يطلق عليها اسم حروف الجواب، حيث يجاب بها عن كلام سابق، وغالبًا يكون سؤالًا. ومن أشهر هذه الحروف (نعم، لا، وبلى). فإذا أردنا التوكيد بهذه الحروف فيجب أن تعاد ألفاظها نفسها، فنقول مثلًا: (نعم نعم للحق).

المبحث الثاني: التوكيد اللفظي

يُعَدُّ التوكيد اللفظي من الأساليب النحوية التي تؤدي وظيفة مهمة في تقوية المعنى وتثبيته في ذهن المتلقي، إذ يقوم على إعادة اللفظ نفسه بقصد تأكيد دلالته وإزالة ما قد يعتري الكلام من احتمال أو شك. ويأتي هذا النوع من التوكيد في الكلام لبيان عناية المتكلم باللفظ المؤكَّد، وإبراز أهميته في السياق، ولذلك ارتبط التوكيد اللفظي بالجانب الدلالي ارتباطًا وثيقًا، فلم يكن تكرار اللفظ مجرد إعادة شكلية، وإنما وسيلة تؤدي غرضًا معنويًا مقصودًا.

ويتحقق التوكيد اللفظي بتكرار اللفظ الأول بعينه، وقد يكون هذا اللفظ اسمًا أو فعلًا أو حرفًا أو جملة، مع مراعاة ما يقتضيه التركيب العربي من أحكام. ومن أمثلته تكرار الاسم، نحو: جاءَ الطالبُ الطالبُ، وتكرار الفعل، نحو: جاءَ جاءَ محمدٌ، كما يتجلى في تكرار الحروف، ولا سيما حروف الجواب، نحو: نعم نعم، ولا لا. وقد يأتي التكرار في الجملة، فيؤدي دورًا بارزًا في توكيد مضمونها وترسيخه.

وتنبع أهمية التوكيد اللفظي من قدرته على إحداث أثر دلالي واضح في الكلام؛ إذ يسهم في تقوية الحكم وتثبيته، وقد يدل بحسب السياق على شدة الاهتمام بالمعنى، أو الإصرار عليه، أو دفع الشك عنه. ومن ثم فإن دراسة التوكيد اللفظي لا تقتصر على بيان أحكامه النحوية، بل تتجاوز ذلك إلى الكشف عن أثره في أداء المعنى وإبراز المقاصد التي يريد المتكلم إيصالها إلى المخاطب.

والتوكيد اللفظي هو إعادة اللفظ الأول أو تقويته بمرادفه معه (السيوطي، 1327ه،صفخة 125/2). وقد يؤتى بموازنه مع اتفاقهما في الحرف الأخير، ويسمى اتباعًا (أبو منصور،1852،صفحة 577). فبالنسبة لإعادة اللفظ الأول، عندما نقول: (جاء محمد محمد إلى المكتبة)، وقوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ﴾ [سورة الفجر 21].

ومن الأمثلة على تقوية اللفظ وتوكيده بمرادفه قوله تعالى: ، ﴿ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾[سورة الأنبياء 31]. وقد تقترن الجملة المؤكدة بعاطف نحو: (والله ثم والله)، وفي قوله تعالى: ﴿ لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَا أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[سورة آل عمران 188]. فقوله (فلا تحسبنهم) توكيد لقوله لا تحسبن. (ابن الحاجب، 375/1).

المطلب الأول: الغرض من التوكيد اللفظي:

من أهم أغراض التوكيد اللفظي هي:

أولًا: أن يدفع المتكلم ضرر غفلة السامع أو عدم الإدراك، فإذا ظن المتكلم أن السامع غافل عن سماع اللفظ، فلا بد من أن يكرر له اللفظ ولا ينفع التوكيد المعنوي هذا الغرض. فلو قلنا (أقبل محمد) وكان المتكلم غافلًا من سماع لفظ محمد، فلا ينفع أن نقول (نفسه) أو (عينه)، لأنه لم يسمع الكلمة المؤكدة، فيجب هنا أن نعيد اللفظ ليسمعها المتلقي.

ثانيًا: أن يدفع عن السامع ظنه بالمتكلم الغلط، فإذا كان المتكلم ظن السامع يعتقد أن المتكلم قد غلط في ذكر اللفظ، فقد ذكر (محمدًا) وهو يريد مثلًا (أحمد)، فلا بد من أن يكرر اللفظ ليزيل هذا الظن من ذهن السامع، وكما إذا قلنا مثلًا

(زارنا خالد يوم الجمعة)، ثم سبق إلى الظن أن المتلقي يعتقد أنك غلطت في ذكر (خالد) وأنك تعني (أحمد)، لأسباب كان يظن أن خالدًا لا يزورك، فيجب رفع الوهم بتكرار اللفظ. (فاضل،1991، 530/4).
فإذا قصد المتكلم أحد هذين الأمرين، فلا بد أن يكون اللفظ الذي ظن غفلة السامع عنه أو ظن أن المتلقي ظن به الغلط، فيه تكريرًا لفظيًا نحو: (جاء خالد خالد)، و(جاء جاء خالد)، ولا ينفع هنا التكرير المعنوي. أما بالنسبة لتوكيد اللفظي في تكرار الحرف نحو (أن أن محمد قائم)، أو التوكيد اللفظي في الجملة نحو قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾[سورة الشرح 5-6]. في هذه الآية المباركة يكون التوكيد اللفظي وتكرار الآية هو لتقوية الحكم وتمكينه في نفوس المؤمنين وتطمينهم به.
ثالثًا: الغرض الثالث لتوكيد اللفظي هو أن يتفعل المتكلم ظن التجوز، فقد يذكر المتكلم حكماً فيظن المتلقي أن المتكلم لم يقصد الحكم حقيقة، وإنما أراده تجاوزاً ومبالغة، فيكرر اللفظ لإزالة هذا الظن، وليثبت في ذهن المتلقي أن الحكم كما ذكره وليس فيه تجاوز، وكما في قولنا: (عدا الأمير)، فربما ظن المتلقي أن الأمير مشى سريعاً، فسميته عدواً، فلا بد حينئذ من إزالة التجاوز بتكرار اللفظ أو بالمجيء بالمصدر، فنقول: (عدا عدا الأمير) أو (عدا الأمير عدواً)، وهذا الغرض للتوكيد اللفظي، أن يتفعل المتكلم عن نفسه يظن المتلقي أو السامع به تجاوز، أو هو ثلاثة أنواع، أحدهم أن يظن به تجاوزاً في ذكر المنسوب، فربما تنسب الفعل إلى شيء مجازاً، وأنت تريد المبالغة، لا أن عين ذلك الفعل منسوب إليه، كما تقول (قتل فلان)، وأنت تريد (ضربه ضرباً شديداً)، أو تقول (هذا باطل)، وأنت تريد (أنه غير كامل).
رابعًا: من أغراض التوكيد اللفظي هو تقوية الحكم وتمكينه في ذهن المتلقي والسامع، كما في قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾[سورة الشرح 5-6].
خامسًا: وقد يكون من أغراض التوكيد اللفظي هو لبيان التهويل والتعظيم نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ (١٨) ﴾ [سُورَةُ الانفِطَارِ: ١٧-١٨] ، فقد تكررت الآية لبيان تهويل ذلك اليوم وتعظيمه، ومثل ذلك قوله تعال: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) ﴾ [سُورَةُ التَّكَاثُرِ: ٣-٤].
سادسًا: وأحيانًا عندما يطول الكلام ويخشى على السامع نسيان أوائل الكلام يكرر له اللفظ ليجعل هذا التكرر قائمًا في نفسه متمكنًا من ذهنه فلا ينسيه ذلك طول الكلام، كما في قوله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[سورة آل عمران 188]. فلفظة (لا تحسبن)، أكدت الحكم وتقديره في أذهان المخاطبين، والله أعلم.

المطلب الثاني: (توكيد اللفظ بالنون)

يؤكد الفعل المضارع وفعل الأمر بتنوين التوكيد، سواء كانت نون التوكيد المثقلة أو نون التوكيد الخفيفة، نحو قول: (ليذهبنّ الطلبة إلى قاعة الامتحان)، أو كما في قوله تعالى: ﴿ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴾[سورة الهمزة 4]. والدليل على أنهما حرفا توكيد أنه يُجاب بهما القسم، نحو قوله تعالى: ﴿ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾[سورة النحل 56].
ونلاحظ أن النون في حرف يؤكد بها الأسماء والأفعال غير أنها تدخل في أول الاسم أو آخر الفعل، فإن، هي نون ثقيلة مسبوقة بهاء الهمزة. لما كانت تدخل في أول الاسم بدأت بهامزة مفصولة إلى النطق بالساكن وأصبحت كالهمزة من بناء الكلمة.
ويوجد تشابه بين (انّ) و(النون)، حيث أن كلاهما حرف توكيد غير أن (انّ) تؤكد الأسماء والأخرى تؤكد الأفعال، وكلتاهما ثقيلة وخفيفة، وكلتاهما تُدخل الفتح على ما دخلت عليه، فـ(انّ) تدخل على الأسماء فتنصبها، والنون تدخل على الفعل وتبنيه على الفتح، فنقول مثلًا: (إنّ خالدًا ليسافرن)، وكلتاهما يجاب بها القسم في الإثبات، نحو قوله تعالى: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَـٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴾[سورة الأنبياء 57]، وقوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾[سورة الذاريات 23]. وترافق النون الفعل إذا كان جوابًا لقسم مثبتًا مستقبلاً غير مفصول عن لامه بفاصل (الازهري، صفحة 203/2). نحو: (والله لأستعينّ في الخير)، وقوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ ﴾[سورة مريم 68]. وقيل إن توكيد النون الثقيلة آكد من توكيد النون الخفيفة، فإذا جئنا بالنون الخفيفة فهذا توكيد، وإذا جئنا بالنون الثقيلة فهذا توكيد أشد.(سيبويه،صفحة 149/2)، والسبب أن النون الثقيلة تكون أشد تأكيدًا من النون الخفيفة هو أن تكرير النون بمنزلة تكرير التوكيد. وقد اجتمعت النون الثقيلة مع النون الخفيفة في قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ ﴾[سورة يوسف

32]، فالنون الثقيلة في قوله تعالى: (لَيُسْجَنَنَّ)، والنون الخفيفة في قوله تعالى: (وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ)، لأن امرأة العزيز كانت أشد حرصًا على سجنه من كونه صاغرًا (الاشموني، 212/3)، فأكدت السجن لذلك بالثقيلة.
ونون التوكيد تخلص الفعل للاستقبال، فلا يمكن أن تدخل على فعل للحال، كما في قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[سورة الفتح 27]. أما إذا كان الفعل للحال لم تدخل عليه النون، وإذا كان الفعل قد وقع وحلفت عليه لم نزد على اللام كما في القول: (والله لفعلت)، فالنون لا تدخل على فعل قد وقع وإنما دخولها يكون على غير الواجب (سيبويه،صفحة 454/1).
كما أن النونين الثقيلة والخفيفة من حروف المعاني والمراد بهما التوكيد، فلأن فلان، فلا تدخلان إلا على الأفعال المستقبلة ولهما تأثير في اللفظ وفي المعنى، فأما التأثير اللفظي فهو إسراج الفعل إلى البناء بعد أن كان معربًا، وأما تأثير المعنى هو إخلاص الفعل للاستقبال (الزمخشري، صفحة 37/9).
والنون كثيرًا ما تدخل على الشرط المسبوق بما الزائدة، ولاسيما شرط إنه نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾[سورة الأنفال 58] ، وقوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴾[سورة الإسراء 28]، بسبب أن (ما) للتوكيد فجيء بالنون التي هي للتأكيد أيضًا، ولذلك قالوا إن دخولها هنا قريب من الواجب (الازهري، صفحة 204/2)، ولم ترد في القرآن الكريم إلا مؤكدة.
ومن مواضع النون هي حروف الجزاء إذا وقعت بينها وبين الفعل (ما) للتوكيد، ذلك لأنهم شبهوا (ما) باللام التي في (لتفعلن)، لما وقع التوكيد قبل الفعل بهذه اللام التي جاءت لإثبات النون فذكر أن (ما) شبيهة بلام القسم في التأكيد. كما أن نون التوكيد تدخل كثيرًا على أسلوب الطلب كالأمر والنهي والاستفهام وما إلى ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [سورة البقرة 147].

المبحث الثالث: توكيد القسم

معنى القسم: الحلف واليمين، وهو إما أن يكون بجملة اسمية نحو يمين الله لا أفعلن كذا، أو يكون بجملة فعلية نحو أقسم بالله، أو بأدوات القسم الجارة لها بعدها، مثل: الباء والواو والتاء واللام والميم المكسورة (عبد السلام،صفحة 28). والغرض من القسم هو توكيد الكلام وتقويته (سيبويه، 454/1)، فعند القسم على شيء يكون ذلك تأكيدًا له، ومن معانيه القوة والقدرة، وجاء في (لسان العرب): اليمين والقوة والقدرة (لسان العرب – يمين)، وجاء في (أساس البلاغة): حلف بالله على كذا حلفًا، وحالفه على كذا، وتحالفوا عليه، واحتلفوا عليه، وبينهم حلف، أي عهد وهم حلفاء بني فلان وأحلافهم(الزمخشري، صفحة 191-192).
والقسم من اشتقاقه ما يعطي معنى القوة، وهو أن يضع في قلبك الشيء فتظنه، ثم يقوي ذلك الظن فيصير حقيقة (الفيروزابادي، صفحة 174/4).

ومن أغراض القسم:

أولًا: يؤتى بالقسم غالبًا لتأكيد معنى الجملة التي تسبق أو تلي جملة القسم.
ثانيًا: لإزالة الشك عن هذا المعنى.
ثالثًا: لإثارة شعور ما في الإنسان كالتعجب والاستعطاف والألم وغير ذلك.

ويتضمن القسم جملتين وهما:

أولًا: جملة القسم، وتتألف من:
أ- فعل القسم الظاهر أو المقدر وفاعله، ومن المقسم به مسبوقًا بحرف القسم (الباء) نحو: (أقسم بالله لأدافعنّ عن المظلوم).
ب- أو من فعل القسم المقدر، حلم محله، ودل عليه حرف من أحرف القسم يذكر في جملة القسم، ومن رابط خاص بالقسم يذكر في جملة الجواب نحو: والله لأنصرن المظلوم.
فواو القسم في الجملة أعلاه حلت على فعل القسم المحذوف، والتقدير هو (أقسم)، وفي جملة جواب القسم رابطان يدلان على القسم ويربطان جملة بجملة الجواب، هما: اللام ونون التوكيد، وتحذف جملة القسم وجوابًا إن كان حرف القسم: (اللام) أو (الواو) أو (التاء)، وتحذف جوازًا إذا كان حرف القسم (الباء)، وتتضمن جملة الجواب المعنى الأساسي

الذي بدونه لما كان القسم، ويربطهما بجملة القسم أحد الروابط وهي: (اللام) و(نون التوكيد) و(إن)، و(أحرف النفي) وهي: (ما) و(لا)، و(إن)، نحو: (والله إن الحق منتصر).

والقسم يكون نوعين هما:

أولًا: قسم ظاهر أو صريح، ونستدل عليه بحرف القسم مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴾[سورة الذاريات 7] ، أو يستدل عليه بفعل القسم نحو: (أقسم أن فعل الخير يعود على صاحبه)، أو يستدل عليه بالحرف والفعل، نحو قوله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ﴾[سورة الأنعام 109]. أو يستدل عليه بلفظ من ألفاظ القسم (الراوي، صفحة 32-33، أبو البقاء، صفحة 290).

ثانيًا: قسم مضمر أو غير صريح، وتدل عليه (اللام،) نحو قوله تعالى: ﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾[سورة آل عمران 186] ، أو دل عليه المعنى، نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾[سورة مريم 71] ، ونحو قول: (علم الله) و(شهد الله) و(عاهد الله)، و(علي عهد الله لأفعلن) (السيوطي، صفحة 2/44-45).

المطلب الأول: أحرف القسم

من أشهر أحرف القسم هي (الواو) و(الواو) و(التاء) و(اللام).

أولاً: (الواو): تعتبر (الواو) أكثر أحرف القسم استعمالًا في القسم (سيبويه، صفحة 455/1)، وتعتبر (الواو) و(التاء) من بين حروف الجر، ولا يذكر فعل القسم معهما، ولا تقول (أقسموا والله)، لا تدخل على الضمير (الاسترابادي، 370/2). وتدخل (الواو) على كل مقسم به نحو قوله تعالى: ﴿ وَٱلْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) ﴾ [سُورَةُ الفَجْرِ: ١-٢] ، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾[سورة الليل 1].

ثانياً: (الباء): ويجوز ذكر فعل القسم معها أو حذفه، نحو قوله تعالى: ﴿ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ (٧٧) ﴾ [سُورَةُ الوَاقِعَةِ: ٧٥-٧٧]. وقوله تعالى: ﴿ ۞ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ﴾[سورة النور 53]

وتدخل (الباء) على القسم الظاهر والمضمر، نحو قول أقسم بك يا رب، لاسعين في الخير.

ثالثًا: حرف القسم (التاء): وتكاد تختص بلفظ الجلالة (الله)، نحو قوله تعالى: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَـٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴾[سورة الأنبياء 57]، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴾[سورة الصافات 56]. ولها معنى التفخيم والتعجب، نحو قوله تعالى﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَـٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴾[سورة يوسف 95]، ففي الآية تعجب في بقاء ابيهم على حاله ولم يتبدل مع طول العهد.

الفرق بين الباء والتاء هو أن الباء هي الأصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها، وأن التاء في قوله تعالى: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَـٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴾[سورة الأنبياء 57]، هو لزيادة معنى التعجب، أي تعجب من وقوع الكيد على يده، وفي معنى التفخيم قوله تعالى: ﴿ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾[سورة النحل 56].

رابعًا: حرف (اللام): وهي تختص بلفظ الجلالة (الله)، وتستعمل في القسم عندما يراد به التعجب (سيبويه،صفحة 144/2)، ولام الجر، يجيء بمعنى الواو، ومختصة أيضًا بلفظ الجلالة (الله) (ابن الحاجب، صفحة 370/2).

العوض وضع حرف القسم

قد يحذف حرف القسم دون أن يحل محله حرف آخر يقوم بعمله، وقد يحل محله (الواو) دون غيرها:

أولاً: جاء التنبيه بإثبات ألف هاء أو بحذفها، نحو: ها الله.

ثانياً: همزة الاستفهام نحو قول: آلله لندافعن عن المظلوم.

ثالثاً: قطع همزة الوصل ولا تأتي إلا إذا كانت فاء مسبوقة بهمزة الاستفهام، وضمن شروط وهي كالتالي:

أ- أن يكون حرف القسم المحذوف، هو (الواو) لا غيرها.

ب- أن يصاحب (هاء التنبيه) اسم الإشارة: (ذا)، بعد الاسم المقسم به.(سيبويه، 167/2).

المطلب الثاني: وقوع (لا) قبل القسم

تقع (لا) قبل فعل القسم كثيرًا، وخاصة قبل الفعل (أقسم)، فيقال (لا أقسم)، كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴾[سورة الإنشقاق 16]، وقوله تعالى: ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴾[سورة البلد 1]. كما تقع من غير فعل القسم، كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾[سورة النساء 65]. وحيثما أقسم الله في القرآن الكريم ذاكرًا فعل القسم (أقسم)، جاء بـ(لا) قبله، كما في قوله تعالى: ﴿ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ (٧٧) ﴾ [سُورَةُ الوَاقِعَةِ: ٧٥-٧٧]. وقوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ (٤٠) ﴾ [سُورَةُ الحَاقَّةِ: ٣٨-٤٠]. وقوله تعالى: ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ (١) وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ (٢) ﴾ [سُورَةُ القِيَامَةِ: ١-٢]. وأما بغير فعل القسم فلم يرد ذلك إلا في قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ﴾ [سورة النساء 65]. ومن النحاة من ذهب إلى قول أن (لا) قبل القسم زائدة تفيد التوكيد وتوكيد القسم.

وجاء في تأويل مشكل القرآن: أما زيادة (لا) في قوله تعالى: ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ (١) وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ (٢) ﴾ [سُورَةُ القِيَامَةِ: ١-٢]، وقوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ (١٦) وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ (١٧) ﴾ [سُورَةُ الانشِقَاقِ: ١٦-١٧]، فإنها زيدت في الكلام على نية الرد على المكذبين (ابن قتيبة،191-192، الرازي، 173/10)، وقيل إنها لتأكيد النفي الذي جاء فيما بعد (الرازي،صفحة 173/10)، وأن عبارة (لا أقسم) هي من عبارات العرب في القسم، لا تستعمل لتأكيد الخبر. (الراوي، صفحة 150-151).

والتأكيد عن طريق النفي ليس بالغريب، فمثلاً عندما نقول (لا أوصيك بفلان)، أي بمعنى تأكيداً للوصية والاهتمام، أو قول (لن ألح عليك في زيارتنا)، تبلغ بالنفي ما لا تبلغه بالطلب المباشر الصريح(الراوي،صفحة 150-151). ويجب أن نفرق بين ذكر اللام مع فعل القسم: (لا أقسم)، وذكرها بدون فعل القسم: (لا والله)، فإنهما ليسا أمراً واحداً.

المطلب الثالث: جواب القسم

جملة جواب القسم تكون أما جملة اسمية أو فعلية، فإذا كانت جملة اسمية أجيب القسم في الإثبات باللام المفتوحة أو (إنّ)، واللام أو (إنّ) وحدها مشددة أو مخففة(السيوطي،صفحة41/2)، كما في قوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴾[سورة الذاريات 23]، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ﴾[سورة الصافات 56]. أما إذا كان جواب القسم جملة فعلية، فعلها مضارع، كان باللام المفتوحة مع النون، ومن جواب القسم، ومن نون، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن مُّتُّمۡ أَوۡ قُتِلۡتُمۡ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ ﴾[سورة آل عمران 158]. وإذا كانت جملة جواب القسم مصدر لفعل مضارع مثبت مستقبل غير مفصول عن لامه بفاصل وجبت تأكيده بالنون (الاشموني،صفحة 215/3). وإذا فقد الجواب شرط واحد من هذه الشروط، امتنعت النون، فإذا كانت جملة جواب القسم فنفيه، امتنعت النون، نحو قوله تعالى: ﴿ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ ﴾[سورة النحل 38]. وكذلك إذا كان الفعل في جملة جواب القسم للحال، امتنعت النون أيضاً لأن نون التوكيد تخلص الفعل للاستقبال فلا تدخل على ما كان للحال، نحو قول: (والله لأقرأ الكتاب)، فتكفي باللام وتمتنع عن نون (ابن الحاجب، صفحة 376/2).

وتمتنع عن نون أيضاً إذا فصل اللام من الفعل، نحو قول: (والله لسوف أزورك﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴾[سورة الضحى 5]. وفي كل حال لا بد من اللام مع فعل المضارع المثبت، أما إذا كانت جملة الجواب مصدرة بفعل ماض غير جامد فيكون الجواب باللام مع قيد، نحو قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾[سورة يوسف 91]، وقد تحذف اللام إذا كان الكلام في طول، نحو قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا (١) وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا (٢) وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا (٣) وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا (٤) وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا (٥) وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا (٦) وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا (٧) فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا (٨) قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا (٩) ﴾ [سُورَةُ الشَّمۡسِ: ١-٩].

أما إذا كانت الجملة فيها فعل جامد فيجاب باللام دون (قد)، لأن (قد) لا تدخل إلا على المصرف، نحو قول: (والله لنعم الطالب أنت). وبالنسبة للنفي فيجاب القسم بـ(ما) أو (لا) أو (إنّ)، سواء كان ذلك في الجمل الاسمية أو الفعلية، نحو قوله تعالى: ﴿ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ ﴾[سورة النحل 38]، وقوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّن بَعۡدِهِۦٓۚ ﴾[سورة فاطر 41]. أما بالنسبة للجمل الاسمية نحو قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ (١) وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ (٢) ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ (٣) إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ (٤) ﴾ [سُورَةُ الطَّارِقِ: ١-٤]

حذف جواب القسم

يحذف جواب القسم وجوبًا وجوازًا، فحذفه وجوبًا إذا تقدم القسم أو كان هناك ما يدل عليها، نحو قول: (أنت مخلص والله)، وقول: (أنت والله مخلص)، ففي الجملة الأولى وجود ما يغني عن القسم، وقد بني الكلام على غير القسم، حتى إذا انتهى الكلام جيء بالقسم، أما في الجملة الثانية فقد تعرض القسم بين الكلام، فقد بنى الكلام على غير القسم ابتداءً به، ثم القسم في أثناء الكلام. فهمنا في كلتا الحالتين لا يحتاج القسم إلى جواب، وإذا وقع القسم في البداية فلا بد له من جواب ظاهر أو مقدر، لأن الكلام يبنى عليه، وكذلك اليمين يكون لها جواب إذا بدأ بها (أبو زكريا،1955م،صفحة 338/2).

وقد يحذف جواب القسم جوازًا إذا كان في الكلام ما يدل عليه (ابن مالك، 277/2، يحيى، 115/2)، والغرض من ذكر جواب القسم هو القصد إلى الجواب بعينه، أما حذف الجواب فقد يحتمل الغرض منه الإيجاز أو سعة المعنى وشموله. (فاضل، صفحة 565).

المبحث الرابع: التأكيد بأحرف الصلة أو الأحرف الزائدة

أحرف الزيادة هي الباء من إن وأن بكسر الهمزة وفتحها وتسكين النون وما ولا. وورودها زائدة أمر عارض للأصل، أمر عارض لا أصلي، وسميت زائدة لأنها لا تضيف إلى المعنى العام للجملة أي معنى جديد، وقيل: إن لها في كلام العرب فائدتان هما:

أولاً: فائدة معنوية: ويقصد بها أنها تغير أصل المعنى، بل تزيده توكيداً وقوة.

ثانياً: فائدة لفظية: وذلك ليكون الكلام أسهل لفظاً أو أجمل إيقاعاً، ولا سيما في فواصل السجع، أو لتقويم وزن الشعر. وقد تجتمع الفائدة المعنوية مع الفائدة اللفظية في الحرف الزائد، ولا يجوز خلو الزيادة من الفوائد اللفظية والمعنوية معاً، وإلا لعدت عبثاً، ولا يجوز ذلك في كلام العرب (الاستراباذي،صفحة 384/2).

المطلب الأول: زيادة (الباء) و(من):

الباء حرف يجر الاسم والضمير، ويكون أصلياً أو زائداً، وله عدد معانٍ، منها معنى التوكيد الذي تؤديه عندما تكون زائدة، وتكون زائدة في سبعة مواضع هي:

أ- في المبتدأ نحو: بحسبك كتاب النحو، فالباء هنا زائدة ومجرورة لفظاً ومرفوعة محلاً، وتدخل الباء الزائدة على المبتدأ والضمير.

ب- في المفعول به نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾[سورة البقرة 195]، أي لا تلقوا أيديكم إلى التهلكة.

ت- في خبر (ليس) و(ما) و(لا) النافيتين، و(كان) المنفية، نحو قول: (ليس الحق بزاهق)، و(ما محمد بغائب)، و(ما كان خالد بظالم). فهنا (الباء) في هذه الأمثلة السابقة الزائدة والأسماء التي تليها مجرورة لفظاً منصوبة محلاً على أنها خبر للنواسخ، وجاءت (الباء) هنا زائدة لغرض توكيد النفي في معنى الجملة، هاء في الحال التي يسبق مما عليها بنفي، نحو قول: (ما عاد خالد بخائب)، أي ما عاد خالد خائباً، و(الباء) هنا زائدة للتوكيد، والكلمة التي بعدها (خائب) مجرورة لفظاً منصوبة محلاً على أنها حال.

ث- اللفظتين (النفس) و(العين)، نحو قول: (جاء الطالب بنفسه أو بعينه)، فـ(الباء) هنا زائدة للتوكيد، وكلمة (نفسه) أو (عينه) مجرورة لفظاً منصوبة محلاً على إنها توكيد للفاعل (الطالب) (الياس،1984،صفحة291-292).

زيادة مِنْ

(مِنْ) حرف يجر الاسم والضمير، يقع أصليًا أو زائدًا، وله عدة معانٍ من ضمنها معنى التوكيد، ولا يكون المعنى للتوكيد إلا إذا جاءت (مِنْ) زائدة، ويشترط في زيادتها ثلاثة شروط هي:

أ- أن يتقدمها نفي أو نهي أو استفهام بالهمزة أو بـ(هل)، نحو: (ما رأيتم مِنْ طالب)، (هل زارك مِنْ ضيف).

ب- أن يكون المجرور بها نكرة، نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[سورة آل عمران 62]، (فاضل، صفحة 605/4).

ت- أن يكون هذا المجرور باللفظ مرفوعًا محلًّا على أنه مبتدأ أو فاعل أو منصوبًا على أنه مفعول به، نحو: (ما في المدرسة من طالب)، و(ما زارني من أحد).

المطلب الثاني: زيادة (ما) و(لا)

أولًا: زيادة (ما): تأتي ما زائدة في مواضع كثيرة أهمها:

أ- إذا وقعت بعد الشرط جازم، نحو: إما تزورني أزورك، ونحو قوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[سورة البقرة 38].

ب- إذا وقعت بعد شرط غير جازم، نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾[سورة التوبة 127]، ونحو قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾[سورة الشورى 37]. ففي هذه الآيات المباركة جاء حرف (ما) حرف زائد لتأكيد المعنى،(معنى الشرط) الذي أدخلته أداة الشرط (إذا) (ابن يعيش، صفحة 131/9).

ت- إذا وقعت بعد حرف الجر التالي: (الباء)، (عن)، (من)، نحو قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾[سورة آل عمران 159].

ث- إذا وقعت بعد (كي)، وكفتها عن العمل، نحو: (دعوتك كيما أكرمك).

ج- إذا وقعت بعد إن وأخواتها وكفتها عن العمل، نحو: (إنما محمد قادم).

ح- إذا وقعت بعد (سّي) وجر ما بعدها بالإضافة إلى (سّي)، نحو: (جاء الضيوف ولاسيما خالد).

ثانياً: زيادة (لا):

(لا) النافية تدل على نفي وقوع الفعل في المستقبل إذا دخلت على فعل مضارع، وفي هذه الحالة يجوز تكرارها، وإذا دخلت على الفعل الماضي كررت في أكثر الأحيان ودلت على نفي وقوع الفعل في الزمن الماضي، إلا إذا دلت على دعاء، فهنا يتحول معنى الفعل من الماضي إلى المستقبل، ولا تتكرر، نحو: لا أراك الله ظلمًا.

وإذا دخلت على الجملة الاسمية دلت على نفي المعنى في الحال، وكان عملها:

أ- عمل (إن)، نحو لا طالب في الصف،

ب- عمل (ليس)، نحو لا سيارة واحدة كافية لنقل الطلبة، ولكن بشروط محدودة (الياس، صفحة 308).

وقد تأتي عاطفة في حالات هي:

أ- إذا تقدمها كلام مثبت مثل سافر أحمد لا خالد.

ب- إذا تقدمها أمر مثل انصر المظلوم على الظالم، وقد تأتي حرف جواب للنفي، وذلك بعد استفهام نحو: هل قمت بزيارة وليد؟ لا.

وتأتي (لا) زائدة في مواضع كثيرة أهمها:

أ- إذا تكررت بلفظ ومعناها أو بمعناها النافي، ولم تضف إلى معنى الجملة في معنى أي معنى إضافي، نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ﴾[سورة فصلت 34].

فـ(لا) هنا حرف زائد، وإذا كانت الزيادة بتكرير الكلمة فيجب أن تكون الكلمة الزائدة هي الثانية، فالأصلي هو الذي يقع أولاً، والزائد للتوكيد يأتي تالياً للأصلي.

ب- إذا سبقت بحرف الجر مثل (غضبت من لا شيء) (ابن هشام،صفحة 245/1).

ت- إذا وقعت في سياق الكلام ولم تغير معناه الأساسي، ولكن زيادتها لا يجوز أن تقع إلا في مواضع لا لبس فيها، نحو قوله تعالى: ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[سورة القيامة 1]، هي بمعنى أقسم، حسب قول المفسرين.

الخاتمة:

بعد الوقوف على ظاهرة التوكيد النحوي، ومعرفة أنواع التوكيد والفاظه المتعددة في الاستعمال العربي، يتضح أن التوكيد يُعدُّ من الظواهر النحوية واللغوية المهمة التي لها دورًا مهمًا وبارزًا في إحكام بناء الكلام وتقوية دلالته، فهو لم يكن استعماله في اللغة العربية ضربًا من التكرار الذي لا غاية له، وإنما جاء استجابةً لغايات معنوية وتداولية لابد منها، ويهدف من خلالها المتكلم إلى تثبيت المعنى في ذهن المتلقي، وإزالة ما قد يعتريه من شك أو توهم أو غفلة أو احتمال.

وقد أظهرت الدراسة أن التوكيد النحوي له عدة انواع، و تتعدد وسائله وأساليبه بحسب طبيعة المعنى المراد توكيده والسياق الذي يرد فيه؛ فمنه التوكيد اللفظي الذي يقوم على إعادة اللفظ أو ما يقوم مقامه، إضافة الى التوكيد المعنوي الذي يتحقق بألفاظ مخصوصة تؤدي وظيفة إزالة الاحتمال وتقوية الحكم، فضلًا عن وسائل وأساليب أخرى تؤدي وظيفة التوكيد في التركيب العربي، كالقسم، وبعض الحروف والأدوات والأساليب التي تسهم في تثبيت المعنى وتوجيه المتلقي إلى دلالة مقصودة بعينها.

كما نلاحظ أن التوكيد اللفظي، على الرغم من قيامه في ظاهره على إعادة اللفظ، فهو لا يمثل تكرارًا مجردًا، بل يحمل قيمة دلالية واضحة، إذ قد يُستعمل لدفع الغفلة، أو تنبيه السامع، أو إظهار الاهتمام بالمعنى، أو تقوية الحكم وإبرازه. أما التوكيد المعنوي، فقد يأتي بألفاظ تؤدي وظائف دلالية دقيقة، وتعمل على رفع الاحتمالات التي يمكن أن تتطرق إلى الكلام، وتعيين المراد تعيينًا يمنع اللبس والاشتباه، وهو ما يكشف عن دقة النظام النحوي العربي وارتباطه الوثيق بالمعنى.

وأثبتت الدراسة كذلك أن أثر التوكيد لا ينحصر في الجانب النحوي أو التركيبي فحسب، بل له اثر في الجانب الدلالي والتواصلي؛ فالتوكيد يسهم في تحقيق التواصل الواضح بين المتكلم والمتلقي، ويجعل المعنى أكثر رسوخًا وثباتًا في النفس، ولا سيما عندما يكون المقام محتاجًا إلى إزالة الشك أو دفع الإنكار أو تقوية الحكم. ومن هنا يظهر الترابط الوثيق بين البنية النحوية والدلالة، إذ إن اختيار المتكلم لصيغة التوكيد وأداته ليس اختيارًا اعتباطيًا، وإنما تحكمه طبيعة المقام والغاية التي يريد الوصول إليها.

كما كشفت الدراسة عن أن العربية تمتلك نظامًا متنوعًا من الوسائل التي تمكن المتكلم من التعبير عن درجات متفاوتة من القوة في الدلالة، الأمر الذي يدل على ثراء اللغة العربية ومرونتها وقدرتها على أداء المعاني الدقيقة. فالتوكيد قد يأتي لتقوية معنى ثابت في الأصل، وقد يأتي لمواجهة احتمال الشك أو الإنكار، وقد يرتبط بالمقام النفسي للمتكلم ورغبته في إحداث أثر معين لدى المخاطب. وبذلك يصبح التوكيد عنصرًا فاعلًا في بناء الخطاب، وليس مجرد وظيفة نحوية مستقلة عن السياق.

ومن خلال ما تقدم يمكن القول إن ظاهرة التوكيد النحوي تمثل جانبًا مهمًا من جوانب الدقة التعبيرية في العربية، إذ تجمع بين الوظيفة النحوية والغاية الدلالية، وتكشف عن قدرة النظام اللغوي على تحقيق التناسب بين الصورة التركيبية والمعنى المقصود. كما أن دراسة هذه الظاهرة تؤكد أن النحو العربي لم يكن منفصلًا عن الدلالة، بل كان في كثير من مسائله قائمًا على مراعاة المعنى ومقتضى الحال.

وعليه، خلص البحث إلى أن التوكيد النحوي يؤدي وظيفة أساسية في تقوية المعنى وتثبيته وتوجيهه، وأن تعدد انواعه والفاظه وأساليبه إنما يعكس تعدد المقامات والحاجات التي يقتضيها الخطاب. ومن ثم فإن فهم التوكيد لا ينبغي أن يقف عند حد تعريف أنواعه وإعراب تراكيبه، بل ينبغي أن يمتد إلى الكشف عن قيمته الدلالية وأثره في توجيه المعنى وتحقيق التواصل بين المتكلم والمخاطب. وهذا ما يجعل ظاهرة التوكيد من الظواهر الجديرة بمزيد من الدراسة، لما لها من صلة وثيقة ببنية العربية ودلالاتها وأساليبها التعبيرية، ولما تكشف عنه من ثراء النظام النحوي العربي وقدرته على خدمة المعنى وإبرازه بأدق صورة ممكنة.

المراجع:

1- اساس البلاغة ، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن احمد الزمخشري (ت 538هـ/ 1144م) ،دار ومطابع الشعب، القاهرة ، 1960 .
2- اساليب القسم في اللغة العربية ، كاظم فتحي الراوي ، مطبعة الجامعة ، بغداد ، (١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م) .
3- أساليب التأكيد في اللغة العربية ، الياس ديب ، دار الفكر اللبناني – بيروت – لبنان ، ط1 ، 1984 .
4- بدائع الفوائد ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ابي بكر بن أيوب المعروف بأبن القيم الجوزية ، ت (751هـ - 1350م) القاهرة / المطبعة المنبرية .
5- تأويل مشكل القرآن ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدنيوري ، ت (276هـ -889م) تحقيق :السيد احمر صقر - القاهرة / دار احياء الكتب العربية.
6- التفسير الكبير ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الرازي ت 606هـ - المطبعة البهية - مصر.
7- حاشية الصبان على شرح الأشموني ، أبو العرفان محمد بن علي الصبان ت 1206هـ ، دار احياء الكتب العربية
8- شرح الأشموني على الفية ابن مالك - دار احباء الكتب العربية .
9- شرح الفية ابن مالك لابن الناظم - المطبعة العلوية في النجف سنة ١٣٤٢هـ.
10- شرح التصريح على التوضيح لخالد بن عبد الله الأزهري - دار احياء الكتب العربية.
11- شرح رضي الدين الاستراباذي على الكافية لابن الحاجب. . .
12- شرح شواهد الأشموني طبع مع شرح الأشموني - دار احياء الكتب العربية .
13- شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ لابن مالك تحقيق عدنان الدوري مطبعة العاني ببغداد ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م
14- شرح قطر الندى وبل الصدى لأبن هشام الانصاري ، ط 1436/6هـ .
15- شرح المفصل للزمخشري لموفق الدين ابن يعيش ، طبع ونشرة ادارة الطباعة المنبرية.
16- الطراز ليحيى بن حمزة العلوى - مطبعة المقتطف بمصر سنة ١٣٣٢ هـ - ١٩١٤ م .
17- العمدة لابن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد محبي الدين عبد الحميد ط٢/ ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥م .
18- فقه اللغة لابي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي - مطبعة الاستقامة بالقاهر ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢م .
19- القاموس المحيط - مجد الدين الفيروز ابادي طه ، شركة فن الطباعة - مصر.
20- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل - الجار الله الزمخشري مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر سنة ١٣٦٧ هـ - ١٩٥٥م
21- الكليات لابي البقاء الحسيني الكفوى طبعة بولاق ط٢
22- لسان العرب لابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصرى - مصور على طبعة بولاق .
23- معاني القرآن لابي زكرياء يحيى بن زياد الفراء - مطبعة دار الكتب المصرية للتأليف والترجمة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥م .
24- معاني النحو ،د فاضل السامرائي ، 1991م ، جامعة بغداد .
25- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب لابن هشام الأنصاري ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.
26- النحو المصفى ، محمد عيد ،ط2 /القاهرة ، 2009م .
27- النحو العربي احكام ومعان ، د.محمد فاضل السامرائي ، ط2014/1م ، دار ابن كثير .